AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

# " مكانة المنظوم "

# قراءة في كتابَيْ : العمدة ، ودلائل الإعجاز

إعداد الباحث

**د. محمد مصطفى السماعيل**

الهيئة العامّة للشؤون الإسلامية والأوقاف في الإمارات العربية المتحدة – أبو ظبي

العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

**الملخص :**

عني هذا البحث بالتعريف بمقام الشعر ومكانته في اللسان العربي ، وقد تكفّل في إنزال الشعر العربيّ منزلته والتعريفِ بفضله عددٌ مِن أهل اللغة وأرباب البيان ، وكان ممّن تكفل بهذه المهمّة وتصدّى لكلّ طاعن فيه بالأدلة القاطعة والحجج الظاهرة علمان جليلان هما : ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) ، فقد تميّز دفاعهما عن الشعر عن غيرهما باستهلالهما كتابيهما (العمدة – دلائل الإعجاز) بالحديث عن فضل الشعر وشأنه وإقامة الحجج الدامغة لكل قائل بخلاف ذلك ، إذ تفرّقت رؤى الناظرين للشعر، وقد سلك البحثُ طريقه في تناول هذه المسألة على ضوء مقدمتَيهما ، فقد تمّ استعراض أقوالهما والتفريق بينهما والوقوف على بعض الحجج التي لم ترتق – بنظر الباحث – إلى درجة نقض الرأي الآخر ، بينما كان الهدف الأساسي مِن هذا البحث إعادة ترتيب الأقوال والردود التي جاء بها ابن رشيق والتي سُردت بشكل لم يُراع فيه ترتيب الموضوعات ، وهذا شأن الأقدمين ـ رحمهم الله ـ في كتاباتهم .

**الكلمات المفتاحية:** فضل الشعر ، فضل الشعراء ، الرد على الطاعنين بالشعر ، رأي ابن رشيق القيرواني في الشعر ، رأي عبد القاهر الجرجاني في الشعر ، مكانة المنظوم .

**المقدمة :**

حمداً لله الذي أعطى فأرضى ، وأنعم فأجزل ، وصلاة وسلاماً متصلين ما بين قلوبنا وأدلائها[1] ، وبين روح النبيّ ﷺ نبلغ بهما شرفَ الخضوع لأمر الله ﷻ بالصلاة والسلام عليه . وبعد :

خلق الله ﷻ الإنسان مميّزاً بخصوصية العقل ، ولقد حارت عقولُ البشر عن إدراك ماهيته ، وما ذاك إلا لأنه الآلة الرئيسة المسيِّرة للإنسان في حياته ، كما كتب اللهُ ﷻ على البشر قدَرَ الاختلاف ، ولذلك خلقهم ، وإنّ أصل هذا الاختلاف هو التحرّر العقليّ الذي لا يمكن لقدرةٍ بشرية أنْ تقيّده أو تلزمه بما ليس مِن إنتاجه ، وكما جعل الله ﷻ سنة الاختلاف ثابتة في كلّ شيءٍ وجعل العقل مَنشأ الاختلاف الفكريّ لدى البشر ، فقد تباينت الآراءُ حول اللغات وما تنطق به الألسن ، فلم يَعجَز العقل عن أنْ يفاضل بين اللغات أو الكلمات أو العبارات ونحوِ ذلك ، وإنّ المفاضلة بين مسارٍ أدبي وآخر ، وتركيبٍ وآخر ، لهو ثمرةٌ مِن ثمار التحرّر العقليّ الذي لا يستقيم الكونُ بدونه ، وحتى يبتعد

[1] ـ الأدلاء : الألسن .

اختلاف الآراء الأدبية عن العبث ، كان لا بدّ أنْ تحتكم هذه المفاضلة إلى شروط فصاحة الكلمة ومعايير بلاغة الكلم ، أو إلى الحسّ الأدبي والذوق اللغوي الذي لا يُخطئ صاحبَه ، وأعني بالمفاضلة بين مسارٍ أدبيٍّ وآخرَ وتركيبٍ وآخرَ مسارَ المنظوم والمنثور وتركيبَيهما ، وهذا هو مرتكز حديثنا في هذا البحث .

أنْ تخضع الآراءُ في تقييم ونقد كلٍّ مِن المنظوم والمنثور إلى ضوابط الفصاحة والبلاغة أو الذوق الفطريّ فهذا ما لا تُنكر مشروعيته ولا يسقط حقُّ الناقد أو المقيّم به ، أمّا أنْ يكون التقييم والنقد مجانباً للموضوعيّة ، بأنْ يكون اتباعاً للهوى ، أو لكون المنظوم شعراً ، وللناقد مأخذٌ على الشعر لا لشيء سوى لأنه شعر . هذا فيمن يكره الشعر ويذمّه . أو لكون المنثور كلاماً لم يُرصَّع بحِلى الوزن والقافية كالشعر . هذا فيمن يفضّل الشعر على النثر . فهذا ما لا يقرّ في عُرف النقد الأدبيّ .

ذكر أهلُ البيان وأعلامُ النقد والأدب حول هذا الموضوع فصولاً وأبواباً ومقدماتٍ ، وكان اللاحق منهم يقتبس القول مِن السابق ، فإمّا أنْ ينقله كما ورد ، أو يزيد عليه حُجّة ويُضفي حُسناً ، وما هذه الدراسة إلا اتباعاً لسنَنهم وغرفاً مِن معين معارفهم وينابيع مداركهم .

وسيكون مدار الدراسة ـ بحول الله ـ حول ما ذُكر في كتابين لطَودين عظيمَين مِن أطواد البيان ، هما : ابن رشيق القيرواني 456هـ ، وعبد القاهر الجرجاني 471هـ ، مِن قضية المنظوم والمنثور والتفضيلِ بينهما (المنظوم والمنثور) ، ودفاعِهما عن الشعر وبيانِ فضيلته ومكانته في اللسان العربيّ ، بل وفي إقامة الحُجّة به على إعجاز القرآن الكريم ، وتحليلِ أقوالهما التي تتّفق في الحكم على أفضليّة الشعر ، وتتماثل في أكثر الأدلّة ، كما يختص كلّ منهما ببعض الأدلة ، وتُعنى هذه الدراسة بذكرِ حُجَجِهما ومراميها ، وتنسيقِ وترقيمِ ما جاء منها في كتاب العمدة ، حيث تداخلت الأدلة عند ابن رشيق ، وتحليلِ أدلتهما ، بتأييد بعضها وإقراره ، والوقوفِ عند بعضها ومناقشته .

إذنْ فإنّ في هذه الدراسة عرضاً لما كَتبا ، عرضَ بيان لخصوصيّة وميّزة ما نثره كلٌّ واحد منهما مِن دُرّ الحُجج ، لا عرضَ مفاضلة ، سوى ما وضح مِن علوّ حُجة أحدهما مقارنة بحجّة صاحبه .

وإنّ المقصـودَ الأول والغاية الأسـمى في هذا البحث إنزالُ الشـعر منزلته الرفيعة ، دون التعصّـب الذي ينشـأ غالباً عن تعظيمٍ للقائل ، والتسليم له بكل ما يقول ، أو عن اتباعِ الهوى والتجردِ عن الحُجة ، وكذلك منحُه الصدارة

العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

في اللســـان العربيّ ، حســـب ما أورده قطبا البلاغة (القيرواني والجرجاني ) والإحاطةُ بكلّ الأدلة التي ذكراها في تفضيل الشعر على النثر ، وترتيبها كمجموعةٍ متكاملة مِن الأدلة ، وإبداء الرأي .

## مشكلة البحث :

تتلخص في إمكانيّة تداخل الحجج في ذهن قارئ الكتابَين ، لعدم تقســـيم المؤلفَين العناوينَ والموضـــوعاتِ الخاصـــةَ في الحديث عن الشـــعر والشـــعراء ومكانته ومكانتهم تقســـيماً يمكن مِن خلاله ربط كلّ حجّة بالقول الذي سيقت لأجله ، وخاصّة عند ابن رشيق ، على الرغم مِن إيلاء المؤلفَين الشعرَ المنزلة العليا ، إذ جعلا الحديث عنه وعن مكانته في مستهلّ كتابيهما .

## أهداف الدراسة :

1ـــ تنسيق آراء المؤلفَين مقرونة بأدلتها ، وفكّ التداخل الحاصل في التأليف ، ليسهل بذلك حصرُ أقوالهما مقرونة بالأدلة في ذهن القارئ للكتابَين .

2. المقارنة العامّة بين منهج كلّ مِن المؤلفَين في الدفاع عن الشعر .

3. بيان أنّ الحُجج الواردة عند ابن رشيق ليست على مستوى واحدٍ في قوة دمغها للرأي الآخر ، بل إنّ بعضها قد لا يصحّ للاستدلال به ـ حسب رأي الباحث ـ .

## أهميّة الدراسة :

تُقدَّر أهميتها بقدْر أهمية الشعر في الكلام العربي ، وضرورةِ إزالة اللبس الحاصل عند البعض مِن ذمّ فئة مِن الشعراء في كتاب الله ﷻ وحقيقة الأمر .

## الدراسات السابقة :

كثيرٌ هم الذين جعلوا ابنَ رشيق والجرجانيّ مصدرَين للتعريف بشأو الشعر العربي وأثرته ، إذ يُعدّان في أهل البيان كأجلّ جنديَين منافحَين عن الشعر وأصحابه ، أما الجمعُ بين رؤيتيهما في دراسة واحدةٍ وذكرُ مواضع الحُسن التي انفرد بها كلٌّ عن صاحبه فلم أجده في الدراسات .

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

**تمهيد :**

سبق الذكرُ في المقدمة أنَّ عدداً مِن أرباب البيان ، وصناع الأدب ، و روّاد النقد ، أفردوا فصولاً وأبواباً ومقدماتٍ للحديث عن فضل الشعر وبيان شأنه في اللغة ، فمنهم مَن اكتفى بالحديث عن قيمة الشعر ومقامه وتأثيره في نفس العربي ، وموقعه في النفع والضرّ ، وذكرَ الشواهدَ على ذلك ، كالجاحظ 255هـ مثلاً [2]، ومِن بعده ابن عبد ربه الأندلسي 328هـ ، في كتاب الزمردة الثانية مِن العقد الفريد ، وقد زاد الأخيرُ على سابقه الاستشهادَ على ذلك بالكثير مِن أشعار العرب وبيانَ فضله مِن حيث روايةُ النبيّ ﷺ له والإقرارُ به وشعرُ بعض الصحابة والأمراء والفقهاء وغيرهم ، وغيرَ ذلك مما يبيّن مكانة الشعر عند العرب ، وقد أطال في ذلك ، إلا أنه لم يعرّض بالطاعنين فيه[3] ، ومنهم مَن تصدّى للزاهدين برواية الشعر وحفظه ، المنشغلين بذمّ الشعر والنيل مِن متعلّميه ومتتبّعيه ، إيماناً منهم بأهميته ، وتقديراً لتميّز صوره التي رُكب عليها ، وعرفاناً بخدمته للغة العربية ولكتاب الله ﷻ في تثبيت الحجة في إعجازه ، و وفاء لأهله في الجاهلية وفي صدر الإسلام والمحدثين ، ومحبة لما أحبّه النبيُّ ﷺ وشرّفه وتمثّل به وأكرم أهله ، واهتدى به في ذلك أصحابُه رضي الله عنهم ، ومِن هؤلاء أبو علي ، الحسن بنُ رشيق القيرواني ، وعبد القاهر الجرجاني ، في كتابيهما[4] .

لقد برز هذان القطبان الجليلان مِن بين المنافحين عن المنظوم ، القائلين برفعة شأنه بل بضرورته في اللغة العربية في هذا الميدان وسبقوا ، وافترضوا حُججَ المقلّلين مِن أمر المنظوم ، وبالردّ نطقوا ، ولكلٍّ وجهةٌ هو موليها في إضعاف مزاعم الزاهدين بالشعر ، الكارهين لتعلّمه ، وسهمٌ في إنصاف ديوان العرب ، وعنوانِ الأدب ، وإيضاح فضلِه بل ضرورتِه في إقامة حجّة القرآن الكريم وبيان إعجازه .

ولا ريب أنّ مزامنة هذين العلمين لبعضهما يسهّل ويختصر على الدارس عمَله ، حيث لا اعتباراتٍ تؤخَذ مِن حيث اختلافُ العصر أو الظروف الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية و نحو ذلك ، فالعصرُ واحدٌ ، وكذلك الظرفُ والحالُ .

[2] – الجاحظ ، عمرو بن بحر ت255هـ ، البيان والتبيين ، بيروت ، دار صعب ، 575/3 .
[3] – ابن عبد ربه الأندلسي ، أحمد بن محمد ت328هـ ، ط1 ، العقد الفريد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 118/6 .
[4] – أي : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ودلائل الإعجاز .

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الدراسة :

- **قول ابن رشيق القيرواني في الشعر وأهله :**

لقد حاز ابنُ رشيق قصبَ السبق في ذكر فضل الشعر المعزّز بإقامة الحُجّة وتجلية البرهان، إذ إنه يعتقد أنْ لا سبيل يُتَّبَع إلى ذكر محاسن الشعر وآدابه و رفعِ قدره قبل إزالة العثرات العارضة للفكر حول الشعر ، وتـنقيته أيْ : الفكر ، مِن أعلاقِ الشكّ فيه والتقليلِ مِن شأنه ، فلا بدّ عنده مِن تعبيدِ الطريق ولـحْبه للسائرين في رياض الشعر ، المتفيّئين أفنانَه وأفانينَه .

فافتتح ـــ بعد المقدمة ـــ كتابه (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) بباب فضل الشعر ، واستهلّ الباب بما تنوء الأفكارُ وتضـــعف عن مجاراته في معرض البدء بإقامة الحُجّة ، بقوله رحمه الله : " العربُ أفضـــلُ الأمم ، وحكمتُها أشرفُ الحكم ، لفضل اللسانِ على اليد ، والبعد عن امتهان الجسد ، إذ خروج الحكمة عن الذات بمشاركة الآلات ، إذ لا بدّ للإنســان مِن أنْ يكون تولى ذلك بنفســه ، أو احتاج فيه إلى آلةٍ أو مُعينٍ مِن جنســه[5]" ففي هذه المقدمة قطع أطماع الكارهين للشعر و روايته في أنْ ينالوا منه بكلمة أو يردّوه بحجّة ، و ذلك بتحكيمه ـــ رحمه الله ـ أمرَه أيْ : الشعر ، للحكمة التي يتضمنها الشعر بنصّ كلام النبيّ ﷺ : (( إنّ مِن الشعرِ لحِكمة، وإنّ مِن البيانِ لسحراً )) وجعل فضل العرب ـ بلغتهم ـ أفضلَ الأمم ، لما تحتويه لغتهم مِن حكمةٍ ، الشعرُ أوّلُ مصادرِها .

**ـ فضل وتفضيل الشعر عند ابن رشيق :**

نســتطيع القول : بأنّ ابن رشــيق أحســنَ في إنصــاف الشــعر الذي هو ديوان العرب ، وأبدع في الردّ على الطاعنين به ، غير أنه لم يُحسن بلْ لم يقصد ـ أصلاً ـ ترتيب الأدلة وتسلسلها بشكلٍ يفصّل الحديث ويفصِله بين فضل الشعر ومكانته وبين وحجج الطاعنين و الردّ عليهم ، شأنه في هذا شأنُ أكثر البيانيين الأوائل ، فلم تُعهَد دقّة التنسـيق والترتيب والفصـل بين الموضـوعات حسـب الفئات التي تنتمي إليها وتنسـيقها بشـكل ظاهر إلا في القرن الســـابع ، عندما أتقن ذلك أبو يعقوب الســـكاكي (626هـ) في جمع وترتيب مفتاح العلوم ، ومِن بعده الخطيب القزويني (739هـ) ، ثم تنامى مظهر الدّقة في تقسيم العلوم والموضـوعات والشـواهد ، حتى إنّ ابن رشـيق بعد أنْ

[5] – ابن رشيق القيرواني الأزدي ، أبو علي ، الحسن ت456هـ ، ط5 ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، بيروت ، دار الجيل ، 19/1 .

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

بيّن في الباب الأول فضلَ الشعر و ساقَ الأدلة في الردّ على الطاعنين فيه ، أتبعه بباب الردّ على مَن يكره الشعر ، مع أنّ الكلام في هذا الباب لم يختلف عن ســـابقه ، إلا مِن حيث اعتماد الحجج العقليّة في الباب الأول والنقليّة في الثاني ، وقد مزج في الباب الأول بين أدلة فضل الشـــــعر وفضـــل أصحابه وتفضيله على النثر ، وتفضيل أصحابه على غيرهم ، وبين ذكـــر بعض حجج الطاعنين والردّ عليها ، فكان في ذلك كلّه تشتيتٌ للقارئ في الأدلة والحُجج والمزاعم والردّ عليها ، وكان لا بدّ مِن إعادة جمعها بمعناها دون حرفية النصّ ، مع فصـــلها فصـــلاً موضـوعياً بحيث تقسّم هذه الأدلة والحجج والمزاعم والردود تقسيماً يجمع الأصـناف المتقاربة مع بعضـها ويفصـلها عن الأخرى ، ليكون أدعى للفهم والتمييز .

وعليه يمكن تقسيم ما جاء به ابن رشيق في شأن الشعر ، بصرف النظر عن تقسيمه هو له ، وتقديمه وتأخيره إلى أقسام :

1. أدلة تفضيل الشعر وبيان مكانته .
2. أدلة تفضيل الشعراء .
3. حجج الطاعنين في الشعر ، والردّ على حججهم .
4. حجج الطاعنين في الشعراء ، والردّ على حججهم .

**أولاً : أدلة تفضيل الشعر وبيان مكانته :**

1. يتمثل رأيُ ابن رشيق في أنّ كلام العرب لا يعدو كونَه منثوراً أو منظوماً ، وهذان الجامعان لكلام العرب لا تستوي طبقات الجودة فيهما ، فالألفاظ تتباين والتراكيب تتفاوت وتتفاضل ، كما تتفاوت أحوال المتكلمين ، فذكرَ أنّ لكـــلٍّ ثلاثَ طبقـــــات : جيدة و متوسطة ورديئة ، فإذا ما اتفقت قطعتان مِن طبقة واحدةٍ (منثورة ومنظومة) قدراً وتسـاوتا قيمة ، ولم يكن لأحدهما فضـل على الأخرى مِن حيث معاييرُ المسـتوى الذي حُكم لهما به ، أيْ : لم تزد إحدى هاتين القطعتين (المنثورة والمنظومة) على أختها حسـناً في اللفظ و رقةً في المعنى وجودةً في التركيب ونحوَ

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ذلك مِن معايير الجودة أو عدمها ، فالحُكم حينئذٍ للمنظوم قطعاً ، لأنّ القاعدة عنده " كلُّ منظوم أحســـنُ مِن كل منثور مِن جنسه في معترف العادة"[6] ، و أدلته على هذه القاعدة :

1ـــــ أنّ الألفاظ تشبَّه بالدرر الثمينة ، وبها تقاس ، فهل يستوي كونُ الدرر منثورة غيرَ منتفَع بها مع كونها منظومةً بعِقد ، حتى وإنْ كانت حبّاتُ المنظوم أقلَّ ثمناً مِن حبّات المنثور ؟! ، فنظمُها بعِقد يجمع حباتِها ويُظهِر حسنَها ويصونها مِن الابتذال ـ لا ريب ـ خيرٌ مِن نثرها ، واللفظ يُحكَم عليه بما حُكِم على الدرّ ، فإذا نثر تبدّد في الأسماع ، وتدحـرج عن الطبــاع ، ولم يستقرّ منه في الذهن إلا اليسيرُ مِن الألفـــاظ ، وقد لا يكون هذا اليسـيرُ أفضلَ الألفـاظ ، وإنّ هذه اللفظـة التي اسـتقرّت في الذهن أو تلك إنْ كانت يتيمـة الألفـاظ التي نـثرت ، ففي سَقَط الشعر مِن أمثالــها ما لا يُلتفت إليه ولا يُعبأ به ، ولكـن عندمــا يلـمّــه سلك الــوزن وتجمـع شـتاته عقدة القــافية فإنــه حينئذٍ يُخبــأ في القلوب والأذهان ، ويُصـان مِن أيّ نسـيان

أو ضياعٍ[7] .

هذا هو معنى الدليل الأول الذي أورده ابن رشيق في تفضيل الشعر على النثر .

2ـ ما علم بالضرورة مِن أنّ المنثورَ مِن كلام الناس أكثرُ والشعرَ أقلّ ، وأنّ الجيّد المحفوظ مِن النثر أقلُّ مِن الجيّد المحفوظ مِن الشعر .

3ـ ما تكلمت به العرب مِن جيّد المنثور أكثرُ ممّا تكلمت به مِن جيّد المنظوم ، غير أنه لم يُحفَظ مِن المنثور عشرُه ، ولا ضاع مِن المنظوم عشرُه .[8]

**رأي الباحث** : لا يُرى بين الدليلين الأخيرين إلا توافقٌ وتماثلٌ وإعادةٌ للمعنى بتغييرٍ في اللفظ فحسب ، فالحديث في كليهما يساق ليُفهِم أنّ قلّة ما استقرّ في الأذهان وحُفظ في الصدور مِن جيّد المنثور، وكثرةَ مثيله مِن المنظوم ـ وإنْ كان الواصلُ إلينا مِن مُجمل المنظوم ـ أقلُّ .

[6] – ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، 19/1 .
[7] – ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، 20/1 .
[8] – المصدر نفسه ، 20/1 .

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

4ــ أنّ الكذب الذي أجمع الناس على قبحه حَسنٌ في الشعر ، وأيّ فضيلةٍ تعدل فضيلة ما حسّنَ الكذبَ ؟! ، بدليل أنّ النبيّ ﷺ تجاوز قولَ كعب بن زهير الذي خالف واقعَ الأمر ، عندما نظمه شعراً وقال :

لا تأخذنّي بأقوال الوشاة فلم أذنبْ ولو كثرت فِيَّ الأقاويلُ

مع علم النبيّ ﷺ بعدم صحّة ما قال ، وأنه مذنب ، وأنه قد آذى النبيَّ ﷺ بشعره ، وحاشا أنْ يوعده النبي ﷺ عن باطل ، فتجاوز عنه وعفا ، بل وأكرمه بإهدائه بردتَه الشريفة ، التي اشتراها منه معاوية بثلاثين ألفاً ، وكان الخلفاء يتوارثونها فيلبسونها في الأعياد والجمع والمناسبات .

**رأي الباحث** : هذا الدليل قد يؤخذ على حجيّة الشعر ، وقد يساق على أنه مِن فضائل الشعراء ومزاياهم ، وفي كلا الحالتين لا يُرى في سَوق هذا الدليل حجةٌ ظاهرةٌ على فضل أحدهما (الشعر أو الشاعر) ، فلا يعتقد عاقلٌ أنّ شعر كعب هو الذي رقّق قلب النبيّ ﷺ عليه ، و دفعه إلى قبول توبته والعفو عنه ، فالنبيُّ ﷺ لم يشترط للعفو قولَ الشعر ، وقد كان بابُ التوبة مشرَعاً أمام الجميع كما هو معلوم مِن سيرته ﷺ ، فلم يردّ أحداً جاءه تائباً معتذراً عنْ إساءةٍ صدرت منه تجاه النبيّ ﷺ ، لكن قد يقال : أنّ إكرامه له بالبردة إعجاباً منه ﷺ بحسُن ما قال مِن الشعر .

تتمة دليل ابن رشيق : وكذلك الأمر مع حسان بن ثابت ، عندما اعتذر مِن قوله في الإفك، مع ثبوته عليه ، وإقامة الحدّ عليه ، وما كان ليقام عليه الحد إلا لثبوت اشتراكه في حديث الإفك، حيث قال في القصيدة التي قالها في السيدة عائشة :

فإنْ كنتُ قد قلتُ الذي زعمتم فلا رفعَتْ سوطي إليَّ أناملي

ثم يقول :

فإنّ الذي قد قيل ليس بلائط ولكنه قولُ امرئٍ بي ماحلُ

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

يقول ابن رشيق هنا : " فاعتذر كما تراه مغالطاً في شيء نَفَذَ فيه حكم رسول الله ﷺ بالحدّ ، و زعم أنّ ذلك قول امرئ ماحل به ، أيْ : مكايد ، فلم يعاقب ، لما يرون مِن استخفاف كذب الشاعر ، وأنه يحتج به ولا يحتج عليه[9] " انتهى .

**رأي الباحث** : تناقضٌ في القول ظاهر ، بين قوله : " نفّذ فيه حكم رسول الله ﷺ "، وبين قوله : " فلم يعاقب " ، فالتناقض في قوله ــ رحمه الله ــ بين تنفيذ الحدّ وعدمه ، ولو أنّ النبيّﷺ سيتجاوز الكذب كرامةً للشعر لأسقط عنه الحدّ ، وقد ثبت إقامته عليه ، وأما مَن اختلف في إقامة الحدّ عليه هو مسطح بن أثاثة الذي لم يكن شاعراً .

وإنّ مما يدفع هذا الدليل أيضاً ويردّه : هو ما ذكره ابنُ رشيق نفسُه في سَوْق الأدلة مِن كلام النبيّ ﷺ (( إنما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه)) ، وقوله : (( إنما الشعر كلام ، فمن الكلام خبيث وطيب[10] )) وقول عائشة رضي الله عنها : (( الشعر فيه كلام حسن وقبيح ، فخذ الحسن واترك القبيح ))[11] ، ودلالة هذه النصوص واضحة في عدم التجاوز عن قبيح الكلام ، حتى لو كان شعراً ، واعتباره مِن خبيث الكلام ، وما بُني ذمُّ الشعراء إلا على ما خبث وفحش مِن كلامهم ، وإنّ الكذب رائدُ التفحش والغواية .

5ــ استدل ابن رشيق بمعنى كلام لأبي العباس الناشئ ، وفيه قياس الصناعة على العلم مِن حيث التفاضل وكان الاستدلال مِن جهتين :

الأولى : أنّ الفلاسفة قسّموا العلم إلى ثلاث طبقات ، أعلى : وهو ما غاب عن الحواس فأُدرِك بالعقل أو القياس ، وأوسط : وهو علم الآداب النفسية التي أظهرها العقل مِن الأشياء الطبيعية كالأعداد والمساحات وصناعة التنجيم وصناعة اللحون ، أيْ : اشترك فيها العقل والمحسوسات ، وأسفل : وهو العلم بالأشياء الجزئية والأشخاص الجسمية الظاهرة ، فجعلوا أفضل هذه العلوم وأعلاها ما أُدرِك بالعقل ولم تشارك فيه الجسوم ولم يعتمد في المعرفة

[9] – ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، 25/1 .
[10] - لم أجد تخريجاً للحديث في متون الحديث .
[11] – المصدر نفسه ، 27/1 .

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

على المحسوسات ، فإذا كان أفضل العلوم ما لم تشارك فيه الجسوم حسب تقسيمهم ، فإنّ أفضل الصناعات ما لم تشارك فيه الآلات ، والشعر صناعة عقلية لم تشترك الآلات في صناعتها .

الثانية : إذا كانت اللحون أعظمَ أركان العمل الذي هو أحد قسمي الفلسفة ( العلم والعمل ) فإنّ الشعرَ أقدمُ مِن لحنه لا محالة ، وبهذا يكون الشعرُ أعظمَ مِن اللحن الذي عدّه الفلاسفة أعظمَ أركان قسم العمل[12] ، فالشعر على هذا القياس علمٌ وعملٌ في آنٍ معاً .

وهنا يقول ابن رشيق ما نصّه : " وإذا كانت اللحونُ عند الفلاسفة أعظمَ أركان العمل الذي هو أحد قسمي الفلسفة وجدنا الشعرَ أقدمَ مِن لحنه لا محالة ، فكان أعظم مِن الذي هو أعظم أركان الفلسفة " ، فقد جعل ـــ رحمه الله ـــ اللحنَ في عبارته السابقة أعظمَ أركان الفلسفة دون تفريق ، وكان الأجدر أنْ يقال : فكان أعظم مِن الذي هو مِن أعظم أركان الفلسفة ، أو : فكان أعظم مِن الذي هو أعظم أركان الفلسفة العملية (والله أعلم) .

وهناك تتمة لهذه الحجّة في تفضيل الشعر على لحنه ذكرها ابن رشيق إلا أنه لم يُتبعها بهذا الكلام وإنما فصَل بينهما بحجج متفرقة على أفضلية الشعر ، والأصل أنْ يجعل الكلام تباعاً ، فقد ذكر : أنّ صاحب الموسيقى يزعم أنّ ألذ الملاذ هو اللحن ، ومِن المعلوم أنّ الأوزان هي قواعد الألحان[13] ، فلولا القاعدة لا يمكن البناء ، وكذلك لولا الوزن لما صُنع لحنٌ ، ثم يعضّد هذه الحجة بأنّ صناعة صاحب اللحن واضعةٌ مِن قدره نازلة به مُسقِطة لمروءته ، بخلاف صناعة الشعر فإنها تُكسِب صاحبَها مهابة العلم ، ولا تحطّ مِن رتبته .

**رأي الباحث** : يبدو لقارئ كلامه أنه قد غالى في هذا ، فكم مِن شاعرٍ حطّ مِن قدره شعرُه ، وكم مِن صانع لحن خُلّد ذكره وارتفع قدرُه ، كعليّ بن نافع الموصليّ ، المعروف بـ(زرياب243هـ) ،

6ـــ أنّ أشعار اليونانيين كانت هي تقييدهم للعلوم والأشياء النفيسة والطبيعية التي يحرصون على تأبيدها ويخشون ذهابها ، فكيف بالشعر العربي الذي هو ديوانهم وفخرهم العظيم وقسطاسهم المستقيم ؟ فقد كان مفهوم الشعر عند اليونانيين هو ما قُيّد به أنفَسُ علومهم وأثمنها [14].

[12] – ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، 25/1 .
[13] – ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، 26/1 .
[14] – المصدر نفسه ، 26/1 .

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

**ثانياً : أدلّة تفضل الشعراء :**

1. ما ذكر آنفاً مِن جواز الكذب في حقّهم دون غيرهم ، وقد رُدّ .

2ـ أنّ الشاعر يخاطب الملك بكاف الخطاب ، كخطابه لأيٍّ مِن السوقة ، ويدعوه باسمه وينسبه إلى أمه ، فلا يُنكر هذا على الشـاعر ، بل يُرى على أنه أوكد للمدح وأظهر ، خلافاً للكاتب فلا يسـتطيع فعل ذلك نثراً ، إلا أنْ يجعله منظوماً في كتاباته[15] .

3ـ سئل أحد المتقدمين عن الشعراء فقال : ما ظنّك بقوم الاقتصادُ محمودٌ إلا منهم ، والكذبُ مذمومٌ إلا فيهم[16] .

**رأي الباحث :** كما أنّ الشطر الأول مِن الدليل السابق مُعترَفٌ به ، فإنّ الثاني مُنكرٌ بلا شك ، لما سبق مِن الكلام حوله .

4ـ ما حكاه أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابوري : ( أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الأحبار وقد ذكر الشعر : يا كعب هل تجد للشعراء ذكراً في التوراة ؟ قال : أجد في التوراة قوماً مِن ولد إسماعيل ، أناجيلُهم في صدورهم ينطقون بالحكمة ، ويضربون بالأمثال ، لا نَعلمهم إلا العرب )[17].

**رأي الباحث :** سَوق هذا الدليل باب يُستأنس به ، إلا أنه لا يرتقي للمحاجّة ، فإنْ كان سؤال عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيّـناً عن الشـعراء ، فإنّ جواب كعب الأحبـار لا يرتقي إلى القطع بإرادته الشـعراءَ في جوابه ، فالجواب : يحتمل أنه جعل الشـعر رديفاً للأناجيل ومسـاوياً لها في المضـمون والقدسـية ، وقد يُفهم منه أنّ كعب الأحبار ذكر جواباً مطلقاً ، أيْ : لم يَعرفْ في التوراة ذكراً للشـعراء ، وإنما اطلع على قومٍ أهلِ حكمة وأمثالٍ وفصاحةٍ ، وهم العرب ، فمدلول الإجابة لا يُقطع به هنا على فضل الشعر أو الشعراء (والله أعلم) .

[15] – المصدر نفسه ، 22/1 .
[16] – المصدر نفسه ، 25/1 .
[17] – ابن رشيق القيرواني ، العمدة 25/1 .

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

5. ليس لأحد أنْ يمدح نفسه ويطريها في غير منافرة[18] إلا أنْ يكون شاعراً ، فإنّ ذلك جائز له في الشعر غير معيب عليه[19] ، وهذا إقرارٌ بأنّ مديح النفس وإطرائها في مفاخرات الأنســاب غير معيب نثراً أو شــعراً ، وما يميزّ الشعر أنه يجوز فيه إطراء النفس ومديحها مطلقاً دون علّة أو سبب مفاخرة .

**ثالثاً : حجج الطاعنين في الشعر والردّ عليهم :**

إنّ أولَ ما يورد الطاعنون بالشعر مِن حجج قولُهم :

1. أنّ القرآن الكريم منثور .

2. وأن النبيّ ﷺ ليس بشاعر ، بنصّ كتاب الله ﷻ : ﴿ وَمَآ عَلَّمْنَاهُ الشِعْرَ وَمَآ يَنْبَغِيْ لَهُ ... الآية ﴾ [ يس ، 69]

**ردّ ابن رشيق :**

1ـــــ أنّ الله ﷻ بعث نبيَّه ﷺ أمياً غيرَ شاعر لقوم يعلمون أمّيّته ، في حين كانت الفصاحة والبلاغة علامة النبوة وآيتَها وحجّة على الخلق ، فجعل كلامه منثوراً ليكون أظهر برهاناً لفضـــله مِن الشـــعر ، إذ إنّ مِن عادة صاحب الشعر أنْ يكون قادراً على ما يحبّه مِن الكلام ، فكان التحدّي لعموم الخلق مِن شاعر وغير شاعر ، فكونه منثوراً أبلغ في إقامة الحجّة به ، إذ لو كان منظومـاً لما استبعد نظمه مِن قبـل النبيّ ﷺ حتى لو كان أمياً ، فجـاء منثوراً متحدياً الشعراء وغيرهم مِن الخطباء والمتكلمين .

2ـــــ وحتى لا يقال : لو أنه جاء شعراً لاستطاع العرب مجاراته حتى لو كان مِن عند الله ، قيل : جاء منثوراً ولم يســتطع أهلُ النثر والكلام مجاراته أو الإتيانَ بآيةٍ مِن مثله ، فقد أعجز الخطباءَ وليس بخطبة ، فهل هذا طعنٌ في الخطب ؟ وأعجز المرسّلين وليس بترسّل ، فهل هذا عيب في الترسّل ؟ ولكنّ إعجازه للشعراء أشدُّ برهاناً وأسطعُ حجة ، لأنهم عندما غلبوا وعجزوا عن معرفة كنه هذا الكلام نســبوا النبيّ ﷺ للشــعر ، وليس إلى كونه خطيباً أو مترســلاً أو متكلماً ، لما يعلموه مِن هيبة الشــعر وفخامته وتأثيره ، وليس النثر كذلك مهما بلغ مِن درجات حســن الصنعة ، لذلك أتبعوا وصفَه بالشعر وصفَه بالسحر لما بينهما مِن علاقةِ شدّة التأثير ، وكذلك بالكاهن الذي يدّعي خرقَ العادات ومعرفةَ الغيب ، فضـمُّ الشـعر لافتراءاتهم على النبيّ ﷺ دليلٌ على رفعة شـأنه ، وقد يقول قائل هنا : كيف ادعيتم أفضلية الشعر وأقررتم بطلان السحر والكهانة وقلة شأنهما ، فيقال : إنّ السحر والكهانة ظاهرتا الخسّة

[18] – أيْ : مفاخرة في النسب .

[19] – المصدر نفسه 25/1 .

العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

، لما فيهما مِن إبطال الحقّ وتثبيت الباطل والمغالاة في الكذب والإيذاء ونحو ذلك ، فضـلاً عن كونهما ليسـا مِن شأن عامّة الناس ، وإنما تخصّصَ بهما شُذّاذ القوم خلافاً للشعر الذي كان له ما له مِن المكانة والمهابة في النفوس ، غير أنّ الذي دفع منكري القرآن إلى ربطه بالسـحر والكهانة شـدّةُ تأثيره بالنفوس لزيادة تقبّل القلوب لوعيه والآذان لسماعه ، وهذا طبق قول النبي ﷺ (( إنّ مِن الشعر لحكمة وإنّ مِن البيان لسحراً )) والشعر أعلى مراتب البيان كما علم .

أما الردّ على قولهم أنّ النبيّ ﷺ لم يكن شاعراً فهو ما سبق ويضاف إليه :

1ـــ أن المعنى : ما الذي علمناه شعراً ، وإنما نوع آخر مِن الكلام يُعجزكم الإتيان به مع أنه نثر ، وما ينبغي له أنْ يبلّغ عنّا ما لم نعلمه لأمانته وصدقه .

2ـ ولو كان كونُ النبيّ ﷺ غير شاعر غضَّاً وإنقاصاً مِن منزلة الشعر لكانت أمّيّته غضّاً وإنقاصاً مِن الكتـابة ، والأمر ليس كذلك بالطبع ، فليس كلّ ما نُفي عن النبيّ ﷺ مِن صفـات خفضاً مِن شأنهـا ، وليس كلّ ما التصق به رفعاً لشـأنها ، فليست الأمّيّـة خيراً مِن الكتابة أو التعلم ، وإنما شـاء الله ﷻ لها أنْ تلتصق بالنبيّ ﷺ إنفاذاً لحكمة الله ﷻ مِن إقامة حجّة الوحي على الخلق ، فكونه ليس شـعراً ليس طعناً في الشـعر ، وإنما زيادة في إقامة الحجّة .

**رابعاً : حجج الطاعنين في الشعراء والردّ عليهم :**

افترض ابن رشـيق سؤالاً وأجاب عليه ، ونثر شـبهة و ردّها ، وذلك في معرض حديثه عن فضـائل الشـعر ، كالآتي :

1ـــ ذكر ابن رشيق : أنّ صاحب الموسيقى يزعم أنّ اللحن هو ألذّ الملاذّ ، وهو : كون صاحب اللحون عادة يكون جالسـاً أيْ : عند عزفه وصـناعة لحونه ، والشـاعر عادة يكون واقفاً عند صـناعة شـعره وإلقائه ، فردّ ما قد يُتوهم مِن فضل صاحب اللحون لجلوسه على الشاعر لقيامه : بأنّ الشاعر لشدّة تشوّف الناس إلى سماعه وشدة رغبته بإسماع مَن بحضرته دون الاستعانة بأيّة آلةٍ أو مُعينٍ له ، فإنه يقوم ويكون مُشرفاً على مَن أمامَه ، محيطاً بهم بنظره ، وليلفت الأنظار إليه أيضـاً ، دالاً بذلك على أنه المتكلم دون غيره ، وإنّ مراده هذا ومرادهم بالإصـغاء

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

إليه لا يتحقق بكماله إلا بوضعية القيام هذه ، بخلاف صاحب اللحون الذي لا يجلسه إلا احتياجه للآلة التي بين يديه ، فجلوسه ليس كرامة له على القوم وإنما احتياج وضرورة ، كما اعتبر أنّ الشاعر في قيامه كالخطيب في قيامه ، مِن حيث الاهتمامُ به وبما يقول .

2ـــ احتج البعض بخدمة الشعراء للكُتّاب دون العكس ، ولعلّ الخدمة المقصودة هي صناعة الشعر للكاتب حينما يطلبه الأخير ، والردّ على هذه الحجة : هو أنّ الشاعر واثق بنفسه مُدلٍ بما عنده على الكاتب والمَـلِك [20]، وعطفه المَلِك على الكاتب يحتمل دلالة أنْ يكون الكاتب المراد هو كاتب المَلِك ، مع أنّ الأرجح في كلامه أنه أراد الكُتّاب عموماً ، بدليل حديثه بعدها عن تخصصات الكتاب .

فالشاعر بصنعته يأخذ ما في أيديهما فيكون هو الرابح ، ولكن بأيّ صنعة أو آلة يأخذ الكاتب ما في يد الشاعر ؟ فصناعة الكاتب فضل عن صناعة الشاعر ، فالكاتب إنما يضمّن كتاباته شعراً يدفع ثمنه ، والشاعر يحوز ذلك الثمن ، وكلّ هذا الكلام في كاتب البلاغة الذي يهمّه أمر الشعر ويضمّه لكتاباته ، أما كُتّاب العلوم الأخرى فما هم إلا صناع مستأجرون ، ومع كلّ ما ذكر مِن حجج تفضيل الشاعر على الكاتب فإنه كان لبعض الشعراء كأبي تمّام والبحتري كتّاب يخدمونهم [21]، هذا معنى ردّ ابن رشيق لحجج القائلين بخدمة الشعراء للكُتاب .

ويذكر ابن رشيق هنا تباعاً لهذه الحجج فيقول : " وكان مِن عميان الشعراء كتاب أزمة كبشار وأبي علي البصير [22]" .

**رأي الباحث** : أكثر الظنّ أنّ إخفاقاً وقع في تحقيق كتاب "العمدة" ، فمدلول الكلام أنّ هذين الشاعرين العمياوين كانا كُتّاباً ، وهذا يبعد ، بل إنّ الأجدر بالقول أنه كان لبشار وأبي علي البصير كُتاب يخدمونهم ، فهذا أولى للردّ على مَن قال أنّ الشعراء يخدمون الكُتاب ، كما هو أقرب لواقع مَن ابتلي بالعمى فهو يحتاج مَن يخدمه لا أنْ يشتغل بالكتابة ( والله أعلم ) .

[20] – ابن رشيق القيرواني ، العمدة 21/1 .
[21] – ابن رشيق القيرواني ، العمدة 21/1 .
[22] – المصدر نفسه 22/1 .

العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ثم يتابع الردّ على هذا بأنّ ابن الرومي كان مِن أكبر كتّاب الدواوين ، إلا أنه اشتهر بالشعر وعكف عليه لأنه ( الشعر ) غلاب .

ثم يأتي بدليل آخر يدحض تفضيل الكُتاب على الشعراء ، وهو : أنك كما تجدُ مِن الشعراء مَن يمدح السوقة والباعة فإنك تجدُ أيضاً مِن هؤلاء السوقة مَن اتخذوا كُتاباً لهم ، فهم يخدمون السوقة بكتاباتهم كما يخدمهم الشاعر بشعره .

3ـــ فإن قيل : إنّ الشعر سببٌ للتكفّف وأخذِ الأعراض[23] ، وما أشبه ذلك مما يقبح فعله ، فإنّ هذه الأخلاق تصدر مِن وضعاء أهل النثر كما تصدر مِن وضعاء الشعراء ، إذن فليست بحجة .

كل ما سبق ذكره كان مِن أدلّة العقل ، وإقامة الحجّة الفكرية ، ثم إنّ ابن رشيق رحمه الله أتبع ذلك ببابٍ سماه ( باب الردّ على مَن يكره الشعر ) جاء فيه بأدلة نقليّة واردة عن النبيّ ﷺ وبعض الصحابة ، وبعض التابعين كابن سيرين ، وسعيد بن المسيب ، وغيرهما ، و ذكر فيه رواية السيدة عائشة رضي الله عنها للشعر ، ثم أردفه ببابٍ نقل فيه أشعار بعض الصحابة والقضاة والفقهاء ، مستهلاً بشيء مِن أشعار الخلفاء الراشدين ، ثم تتابعت أبوابٌ في أحوال الشعر والشعراء ، وما يعنينا في هذا هو : ما ذكره في باب الردّ على مَن يكره الشعر مِن نَقضٍ لحُجّتين يحتج بهما الطاعنون ، وهما يندرجان تحت التقسيم الرابع وهو : الردّ على الطاعنين بالشعراء .

أولاهما : احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿ والشُعَرَاْءُ يَتّبِعُهُمُ الغَاْوُوْنَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنّهُمْ فِيْ كُلِّ وَادٍ يَهِيْمُوْنَ ۞ وَأَنّهُمْ يَقُوْلُوْنَ مَاْ لا يَفْعَلُوْنَ﴾ [الشعراء ، 224–225–226] ، في النَيل مِن أهل الشعر ، وقد وصف هؤلاء القوم بأنهم لا يفهمون الكلام ، وبيّن غلطهم وسوءَ تأوّلهم[24] ، إذ لم يُقصَد في الآية إطلاقُ صفة الذمّ على عموم الشعراء ، وإنما على فئة خاصّة مِن شعراء المشركين ، تناولوا النبيّ ﷺ وآذوه ، دون سواهم ، وهذا موضَّح في الاستثناء الواقع بعد هذه الآيات ، الخاتِم للسورة في قوله تعالى : ( إلا الذِيْنَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاْتِ وَ ذَكَرُواْ اللهَ كَثِيْرَاً وَانْتَصَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَاْ ظُلِمُواْ ) [الشعراء ، 227] ، ذكر ابن رشيق : أنّ المراد بهم شعراء النبيّ ﷺ الذين كانوا ينتصرون له ويجيبون المشركين ، كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم ، وقد امتدحهم النبيّ ﷺ في كثير مِن النصوص

[23] – المصدر نفسه 26/1 .
[24] – ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، 31/1 .

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

، وحثّهم على صناعة الشعر ، ولو أنّ الشعر حرامٌ أو مكروهٌ لما اتخذهم النبيّ ﷺ شعراءَ يذودون عنه ويسمع شعرَهم [25] ، هذا معنى قوله .

ويجدر هنا ـ ليكتمل وجه الحجّة ـ أنْ يشار إلى أنّ في شِقّي الحديث عن الشعراء ـ ذمّ الشعراء بآياتٍ مِن القرآن ، ثم مجيء الاستثناء لفئة مِنهم ـ تعميمٌ رغم خصوص سبب النزول ، فإنْ قيل أنّ الآيات وردت في ذمّ شعراء المشركين الشانئين ، ثم استثناء شعراء الصحابة المدافعين ، قيل : أنّ الذمّ يجري على كلّ مَن اتصف بصفاتهم مِن الشعراء عموماً، كما يُستثنى مِن ذلك كلُّ مَن توافرت فيه الضوابط المذكورة في الآية الأخيرة مِن سورة الشعراء ، وهذه هي حقيقة التفرقة بين حالَتي الشعر ، التي تعرّض لها المفسّرون ، و ذكرها الشيخ عبد القاهر الجرجاني رحمه الله في بداية كتابه " دلائل الإعجاز " وسيأتي الحديث عنها .

ثانيهمـا : قول النبيّ ﷺ : ( لأنْ يمتلـئَ جوفُ أحـدِكم قيحاً حتى يَرِيَه خيرٌ له مِن أنْ يمتلئ شِعراً )[26] ، وقد ردّه : بأنّ ذلك فيمَن غلب الشعر على قلبه ، وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامةِ فروضه ، ومنعه مِن ذكر الله وتلاوة القرآن ، ثمّ يبيّن ابن رشيق أنّ الشعرَ ، أيْ : المذموم ، وكلَّ ما جرى هذا المجرى سواءٌ ، أيْ : كلّ ما تسبب في لهو صاحبه وشغله عن العبادة ، فله حُكم الشعر المذموم[27] .

هذا عمومُ ما أورده ابن رشيق ، وقد رُتّب و قُسّم حسب الأقوال وأدلتها وما تقتضيه الموضوعاتُ مِن فصلٍ وتفريقٍ وتقسيم .

- **قول الشيخ عبد القاهر الجرجاني في الشعر وأهله :**

لم يختلف شيخ العربية في مرماه عن سابقه ، بل لم يتحرّج أنْ يجعل في كتابه " دلائل الإعجاز " الكلامَ في فضل الشعر و ردّ الطاعنين به وبأهله أولَ كتابه بعد فاتحة الكتاب التي بيّن فيها فضلَ العلم ، كما فعل ابنُ رشيق تماماً في كتابه " العمدة " فقد تشابها في : 1ـ تسمية الموضوعين ( فضل العلم ، والكلام في الشعر ) ، 2ـ وتتابعهما ، 3ـ واستهلال الكتابين بهما 4ـ وفي عموم مضمون الحديث عن الشعر وأربابه ، إلا أنّ الفارق بينهما تجلّى ظاهراً في عرضِ كلٍّ لمادّته ، ولا يمكن القطعُ بأنّ الشيخ عبد القاهر سلك سبيل القيرواني واهتدى به في هذا ، لتأخّره عنه

[25] – المصدر نفسه ، 31/1

[26] – البخاري ، محمد ابن إسماعيل ت256هـ ، ط1 ، صحيح البخاري ، بيروت ، دار طوق النجاة ، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان ، رقمه : 6154 ، 36/8 .

[27] – ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، 32/1 .

في المولد والوفاة ، إذ الفارق بينهما عشر سنوات في المولد ، وخمسة عشر في الوفاة ، فهما تِربان ، إلا أنّ توافُقَ حُجج الجرجانيّ مع أكثر حجج القيرواني المذكورة في "العمدة" ثم الزيادة عليها مؤشّرٌ على ترجيح تبعيّته له ، ونقلِه عنه ، فيظهر أنه انتقى مِن أدلة القيرواني ما طاب له وحَسُن لديه ثم زاد عليه .

واستهلال الشيخ الجرجاني كتابَه بالكلام عن أفضلية الشعر دليلٌ على موقعه في نفسه ، إذ لا يوجب عليه كتابُه " إعجاز القرآن " الاهتمامَ بالشعر الذي يوصله إلى حدِّ استفتاحِ الكتاب به ، والاسترسالِ في ذكر المطاعن والحُجج والردّ عليها ، خلافاً لابن رشيق ، فإنّ موضوع كتابه "العمدة " يحتّم عليه بيانَ منزلة الشعر قبل أنْ يذكر محاسنَه وآدابه ، إذ يقوم كتاب " العمدة " على ذكر الشعر وفنونه ، وجيّده و رديئه ، وصفات الشاعر وأحواله ، وكلّ ما يتعلّق بالشعر مِن محسّنات وعيوب ، ونحو ذلك مِن متعلَّقات المنظوم ، بخلاف " الدلائل " الذي لم يُعنَ بكلّ هذا.

وقد أحسنَ عبد القاهر الكلامَ في الشعر ، حتى إنّ احتمال القول بنقلِه عن ابن رشيق وتقليده في هذا الشأن لم يمنع القطعَ ـ برأيي ـ بأنّ ما جاء به مِن تحليلٍ وشرحٍ و ظهورِ حُجّة وقوّةِ دليل أحسنُ حالاً مما أورده ابن رشيق ، لأسبابٍ ، أهمّها أنه ليس فيما أورده مِن ردودٍ على الطاعنين بالشعر ما يحكم العقل بردّه كما فعل ابن رشيقٍ مِن إيراد بعض الأدلة التي كانت بدافع الغَيرة على مكانة الشعر فحسب ، دون النظر في موافقتها للحقيقة ، إضافة إلى حُسن الترتيب الذي كانت عليه المسائل والأدلة التي ساقها أيْ : الجرجاني .

وإنّ افتتاحَه الحديثَ عن الشعر بتصنيف وحصر الزاهدين برواية الشعر و ذمّ الشاغلين به إلى فئاتٍ ثلاثٍ ، لهو أفضل حصرٍ و ضبطٍ لأحوال مَن يطعن بالشعر وأهله .

ذكر الشيخ عبد القاهر : أنّه لا يخلو مَن كان رأيُه في الشعر رأي الناقد له الزاهد في روايته والاشتغال به مِن أحد الأصناف الثلاثة :

أولهم : أنْ يكون رأيه هذا مبنيّاً على ما يجده في الشعر مِن هزل أو سخف ، وهجاء وكذب وباطل .
ثانيهم : أنْ يكون ذمّه و رفضه للشعر مبنيّاً على كون الشعر موزوناً مقفى ، واعتبار الوزن والقافية عيباً يقتضي الزهد فيه .
ثالثهم : أنْ يتعلّق رفضه و ذمّه للشعر بأحوال الشعراء السيئة في الأكثر ، مستدلاً بذمّ القرآن الكريم لهم .

العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

لوحظ مِن خلال فاتحتي الكلام عن الشعر بين الشيخين أنّ كليهما بدأ بالتقسيم ، غير أنّ ابن رشيق بدأ كلامَه بتقسيم الكلام إلى منظوم ومنثور ، ثم غدا يفضّل الأول على الثاني ، أما عبد القاهر فكان تقسيمه لأحوال الطاعنين ، ليبنيَ على ذلك أدلةً يُردّ بها على كلّ قِسم بما يناسبه ، وهذا هو حُسن التنسيق الذي تميّز به كلام الشيخ عبد القاهر عن كلام ابن رشيق رحمها الله .

**الردّ على أصناف الطاعنين :**

ـ أما القسم الأول فرُدّ عليه :

1ـ بأنه ينبغي أن يُذّمّ الكلامُ كلّه إنْ كانت هذه حجّةَ الطعن ، وأنْ يُفضَّل الخرسُ على النطق ، والعيُّ على البيان ، حيثُ إنَّ منثور كلام الناس أكثرُ مِن منظومه بلا شك ، وإنّ الشعراء معدودون في كل زمان ، فلو حُسب ما قيل مِن سخف الكلام وهزله في الكلام المنثور لأربى على كُلّ ما قاله الشعراء في كلّ الأزمان مِن قولٍ و زاد ، بل إنّ ما قيل مِن سخف منثور سيغطّي ويغمر كلّ المنظوم حتى لا يظهر كلّ الكلام المنظوم فيما سَخُف مِن المنثور[28] ، إذ إنّ أصل كلام الناس هو النثر وليس الشعر .

ثمّ يُلمِح عبد القاهر إلى أنّ الذمّ قد يلحق صاحبه وليس الشعرَ أو الشاعر ، إذ لا يُطلَب مِن المرء أن يتتبّع سُخف القول وهزلَه مِن المنظوم ، وإنما العكس ، وهو تتبّع الجيد منه ، فإنّ المرء لو لم يروِ مِن المنظوم شيئاً ولم يحفظ إلا الجدّ المحض ، وما لا يُعاب على المرء روايته والمحاضرةُ به ونسخُه وتدوينُه لكان في ذلك غِنى له ونيلاً للمراد ، ولحصل له ما يروم مِن علم الفصاحة ، فليختر لنفسه ما يحب وليدع ما يكره .

وهذا لا يُعتبر حجّة للردّ على المطاعن ، وإنما هو توجيهٌ حَسَنٌ مِن الشيخ لِمَن يتتبّع عيوب الشعر ونواقصَه وفُحشه ، بأنْ يلتفت إلى طيّبه وجيّده ويترك ما دون ذلك .

2. راوي الشعر حاكٍ ، وليس على الحاكي عيبٌ ، وليس عليه تبعة ، ويشترط الجرجانيّ هنا شرطاً لتجنيب الشاعر التهمة ، وهو أنْ لا يقصد بحكايته للشعر أنْ ينصر باطلاً ، أو يسوء مُسلماً ، ثم يقيس ـ مِن حيث تشابهُ الدليل ـ حكاية الشاعر لشعرٍ ورد فيه سُخف أو باطل أو نحوُ ذلك ، على حكاية الله ﷻ لكفار الكفّار ، الذي قُطِع

[28] – عبد القاهر الجرجاني ت471هـ ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، بيروت ، دار المعرفة .

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

بِبُطلانه ، والآيات كثيرة في باطل القول الذي قاله الكفار ، ثمّ يقول : " فانظر إلى الغرض الذي له رُوي الشعر ومِن أجله أريد وله دُوّن، تعلم أنك قد زغت عن المنهج ، وأنك مسيء في هذه العداوة ، وهي العصبية منك على الشعر"[29].

**تحليل الدليل ومناقشته** : إنّ هذا الدليل لهو أوضحُ ـ استدلالاً ـ مِن شُعاع الشمس في رابعة النهار، غير أنّ وقفتين قد تستوقف القارئ له :

أولاها : أنه بعبارته هذه قطع بأنّ كلَّ شاعرٍ حاكٍ ، وليس الأمرُ كذلك ، وماذا يقصد بالحكاية ؟ فإنْ كان يقصد حكاية الشاعر عن الغير فقياسه على حكاية الله ﷻ لكلام الكفار صحيح ، ولكن اعتباره أنّ كلّ شاعر حاكٍ كما تُفهمه عبارته لا يتفق مع الواقع ، فالشاعر مادح وهاجٍ ومفتخر ومتغزّل وقد يكون حاكياً عن الغير ، فحجيّة دليله تنطبق على الشاعر الحاكي فحسب دون غيره ، وإنْ كان يقصد أنه حاكٍ في بعض حالاته فالحجة واضحة وصواب لا ريب.

ثانيها : قوله : " فانظر إلى الغرض ... تعلم أنك قد زغت عن المنهج ... الخ " فجعل كُلَّ غرضٍ قيل فيه الشعر رفيعاً وشريفاً على الإطلاق ، ولو علّق رحمه الله حُكمَه بالزيغ عن المنهج والإساءة في العداوة على التحقق مِن الغرض الشريف الذي لأجله قيل الشعر لكان أولى ، فلو قيل : " فإنْ ظهر لك شرف الغرض فاعلم أنك قد زغت ... الخ" ، لكان الكلام أقربَ إلى الكمال وفهم القارئ (والله أعلم) .

ثم يفرّع رحمه الله عن هذا الدليل باستشهاد علماء غريب القرآن وإعرابه بأبياتٍ تضمّنت فحشاً وذِكراً لقبيح الأفعال ، ولم يُعِبهم ذلك لأنهم لم يقصدوا الفحش والقبيح لذاتهما ، ولم يروُوا الشعرَ مِن أجل ذلك ، وإنما رووها لأغراضهم الشريفة ومقاصدهم النبيلة المفيدة .

أما ذِكره لأوجع بيت كان يتمثّل به الحسن البصري في مواعظه ، وهو :

اليوم عندك دَلُّها وحديثها وغداً لغيرك كفُّها والمعصم

فلا يظهر فيه شاهدٌ على حكاية الحسن البصري للهابطِ مِن القول ، فالكلام في ظاهره ومضمونه لا يعدو الاعتبار والتوجّع على تقلّبات الدهر ، ولا يُرى فيه ما يعاب إنشادُه أو روايته، إنْ كان الشيخ يقصد الاستشهاد على رفع الحرج عمّن يحكي فاحش الشعر أو قبيحَه أو نحوَ ذلك مما يعاب في الكلام .

[29] – المصدر نفسه ، ص10 .

العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

أما استشهاده بتمثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأبيات عمارة بن الوليد فهو عينُ ما أراده مِن جواز نقل الشعر وحكايته عن صاحبه مهما كان أمره ، إن استُعمل في غرضٍ شريف ، فقلد أعمل عمر بن الخطاب بيتين مِن قول عمارة بن الوليد الذي لا شكّ في خروجِها عن الجدّ واستخدامِها في غرضٍ وضيع ، وذلك عندما لامته زوجته في شرب الخمر بعد أنْ كان قد آلى أنْ لا يشربها ، ثم حنث وشرب ، عندما مرّ بقومٍ يشربون ، فردّ عليها :

أسرّكَ لمّا صرَّع القومُ نشوةً  خروجي منهـا سالماً غيرَ غـارم
بريئاً كأني قبلُ لم أكُ منهم  وليس الخداعُ مُرتضىً في التنـادم

فقد أراد القائل الهزل بالتماسه العذرَ لمعاقرته الخمر ، وتمثّل بهما عمر رضي الله عنه مريداً أشرفَ قصد وأجلّ غرض ، وهو رفضه خروجَه عن دائرة العدل في القسمة [30] ، فاستعان بكلامٍ باطل على حقّ .

ثم يسأل الشيخ عبد القاهر ذلك الطاعن الذي أسّس طعنه في الشعر على ما يجده مِن سُخف وهزلٍ وهجاء وفُحش سؤالين ، متّحدين في المرمى وأسّ المحاجّة ، مختلفين في أنّ أولهما عقليٌّ والآخر نقليٌّ في المحاجّة ، وهما :

1. كيف وجد ما يضع مِن قدر الشعر ولم يرفعه في نفسه ويوجب له المحبة ما فيه مِن الحكمة والصدق وفصل الخطاب ، وكونُه مجنى ثمر العقول والألباب ، ومجتمع فرق الآداب ... ؟[31] ونحو ذلك مِن فضائل الشعر وثمراته الحميدة.

وهذا السؤال يفيد ـ تماماً ـ ما أفاده قوله السابق الذي يشير فيه إلى لزوم تتبّع الجدّ المحض مِن الشعر وعدم رواية غيره إنْ لم يرُق له ذلك[32].

2. كيف روى قولَ النبيّ ﷺ : (( لأنْ يمتلئ جوف أحدكم قيحاً فيَريَه خيرٌ له مِن أنْ يمتلئَ شعراً ))[33] ، ولهج لسانُه به ، ونسيَ[34] تكريمَ النبيّ ﷺ للشعر وصفاً له وأمراً به و وعداً لصاحبه بالجنة ، وسماعه له ، وإشادته بالشعراء ، واستنشادهم الشعرَ ، وعلمه ﷺ بالشعر ، واستحسانه له ، وارتياحه عند سماعه ؟! ، فأما الوصف فهو

[30] – انظر قصة عمر في دلائل الإعجاز ، ص10 .
[31] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص12
[32] – المصدر نفسه ، ص9 ، وهو قوله : (ثم إنك لو لم ترِ من هذا الضرب شيئاً قط ...ودع ما تكره إلى ما تحب )
[33] – سبق تخريجه في ص 17 .
[34] – يقصد به التناسي هنا .

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

قوله : (( إنّ مِن الشعر لحكمة ، وإن مِن البيان لسحراً ))[35]، وأما الأمر به و وعد المأمور بالجنة فهو قوله لحسان : (( قل و روح القدس معك ))[36] ، وأما سماعه له ومدحه للقائل واستنشاده إياه ، وعلمه به ، واستحسانه له ، ارتياحه عند سماعه ، فهذه أحوالٌ ناتجةٌ عمّا تقدم مِن وصف الشعر والأمر بقوله .

ثم تابع الشيخ استشهاده على ما قدّم مِن الأدلة ، وجعل لكلّ مِن الأدلة شواهد ، فأما الأمر به وسماعه فدليله سماعُ النبي ﷺ مِن حسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير مديحَهم إياه ، وأمرُهم بالرد على المشركين ، فكانوا يعرضون عليه ما يقولون ، وكان النبيّ ﷺ يذكر لهم ذلك فيما بعد ، كقول النبيّ ﷺ لكعب : " ما نسي ربك ، وما كان ربك نسياً ، شعراً قلته ، قال : وما هو يا رسول الله ؟ قال : "أنشده يا أبا بكر " ، فأنشد أبو بكر رضوان الله عليه :

زعمت سخينة أنْ ستغلب ربَّها ... وليغلبنَّ مغـــالبُ الغـــلاب[37]

وشواهد استنشاده إياه عدّة أذكر منها اثنين :

1. استنشادَه قولَ عمّه أبي طالب حين استسقى فسقي :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهـه ... ثمال اليتامى عصمــة للأرامـل

يطيف به الهلاك مِن آل هاشم ... فهم عنده في نعمــة وفواضــل

2. وتمثله ﷺ بقول عمّه أيضاً :

كذبتم وبيت الله إنْ جد ما أرى ... لتلتبسـن أســيافنا بالأنامـــــل

وينهض قوم في الدروع إليهم ... نهوض الروايا في طريق حلاحل

وذلك لما نظر ﷺ إلى القتلى مصرّعين يوم بدر وقال لأبي بكر رضي الله عنه : " لو أنّ أبا طالب حيّ لعلم أنّ أسيافنا قد أخذت بالأنامل " ثم أنشد شعره السابق .

وأما شواهد علمه ﷺ بالشعر فعدّة أيضاً ، أذكر بعضها ، وقد يسري إلى ذهن القارئ أنّ علمه بالشعر عينُ استنشادِه به و ذكرِه له ، فتمثّله ﷺ بالشعر و ذِكرُه يفيد العلمَ به ، وليس الأمر كذلك ، وإنما أراد الشيخ عبد القاهر

---

[35] – البيهقي ، أبو بكر ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني ت458هـ ، ط1 ، السنن الصغير ، كراتشي ، جامعة الدراسات الإسلامية ، باب : من تجوز شهادته ومن لا تجوز من الأحرار ، رقمه : 3369 ، 182/4 .

[36] – ابن حبان ، أبو حاتم الدارمي ، محمد بن حبان التميمي ت354هـ ، ط2 ، صحيح بن حبان ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، باب: ذكر البيان بأن جبريل عليه السلام كان مع حسان بن ثابت ، رقمه : 7146 ، 96/16 . ولفظ الحديث " إن روح القدس معك " .

[37] – البخاري ت256هـ ، ط1 ، تخريج الأحاديث المرفوعة المسندة في كتاب التاريخ الكبير للبخاري ، إعداد : د.محمد بن عبد الكريم بن عبيد ، الرياض ، مكتبة الرشد ، رقمه : 93 ، ص400 .

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

أنْ يجعل علمَ النبيّ ﷺ بالشعر مكرمة مستقلة عن قوله واستنشاده وسماعِه ونحوِ ذلك ، إذ أراد بالعلم به ضرباً مِن التخصّص بالشعر ، وهذا بذاته دليل على المبالغة في الاهتمام بالشعر مِن قِبل النبيّ ﷺ وإعطائِه مزيداً مِن الاهتمام ، إذ كان يعلم دقائقَ وأسبابَ الأحوال والظروف التي قيل فيها هذا البيت أو ذاك ، ومَن قال ، وبمَن قيل ، وغيرَ ذلك مِما لا يُدركه إلا المتتبعون للشعر المحبّون لروايته ، وهذا يُعلَم مِن الشواهد التي أوردها ، كما روي أنّ سودة رضي الله عنها أنشدت : " عديٌّ وتيم تبتغي مَن تحالف " فظنت عائشة وحفصة أنها عرّضت بهما ، وجرى بينهنّ كلامٌ وجدال في هذا ، فلما علم النبيّ ﷺ بهذا دخل عليهن وقال : " يا ويلكنّ ! ليس في عديّكنّ ولا تيمكنّ قيل هذا ، وإنما قيل هذا في عديّ تميم وتميم تميم " ، كما بلغ علمُ النبي ﷺ بالشعر أيضاً تصويبَه لبعض ما قيل سهواً أو خطأ أو ربما تدليساً ، كرواية الزبير بن بكار قال : " مر رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر رضي الله عنه برجل يقول في بعض أزقّة مكة :

يا أيها الرجل المحول رحله  هلا نزلت بآل عبد الدار

فقال ﷺ : " يا أبا بكر هكذا قال الشاعر ؟ قال : لا يا رسول الله ، ولكنه قال :

يا أيها الرجل المحول رحله  هلا نزلت بآل عبد مناف

فقال رسول الله ﷺ: " هكذا كنا نسمعها " .

وأما ارتياحه ﷺ للشعر واستحسانه له ، فقد ذكر الشيخ شواهد على ذلك ، ولا أرى مدعاة لسوق شواهد على أنها أدلة على ارتياحه واستحسانه للشعر ، إذ كلّ ما سبق ذكره وغيرُه هو في حقيقته ارتياح واستحسان وإقرار للشعر ، فما ذكره مِن خبر كعب بن زهير وأخيه بجير ، وقصيدته المعروفة بالبردة[38] ، ما هو إلا دعم لما سبق ذكره مِن موقع الشعر في نفس رسول اللهﷺ .

ـ وأما القسم الثاني مِن الطاعنين ، وهم الذين يُحيلون ذمهم للشعر و رفضهم لروايته إلى كون الشعر موزوناً مقفى ، واعتبار الوزن والقافية عيباً يقتضي الزهد فيه ، فقد أورد الشيخ لهم زعمين يُبنى ثانيهما على أولهما :

الزعم الأول : تعليق ذمّ الشعر على كونه موزوناً مقفى ، فردّ عليه :

1. بمخالفة أصحاب هذا الرأي لإجماع العلماء في قولهم : " إنما الشعر كلام ، فحسنه حسن

[38] – ورد ذكره في أدلة ابن رشيق .

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

و قبيحه قبيح" ، وقد روي هذا عن النبي ﷺ مرفوعاً [39] ، فليس في النصّ السابق ما يميّز الشعر عن غيره مِن حيث هو كلام ، كما جُعل مردُّ رفض الشعر أو قبوله إلى ما يتضمنه مِن قبح يؤخَذ على صاحبه أو حُسنٍ يُمتدَح عليه صاحبُه .

الزعم الثاني المترتب على الأول : أنّ الذمّ إنما تولّد مِن كون أنّ الوزن سببٌ للتغنّي بالشعر والتلهي به ، ولولا الوزن لما كان شيءٌ مِن التغني والتلهي ، و ردّ هذا :

1. بأنا لا ندعُ مُبغضَ الشعر إلى الشعر و روايته ، والثناء عليه لأجل ما ذكر ، وإنما محطّ مدح الشعر والإقبال عليه ما يحمله مِن اللفظ الجزل والقول الفصل والمنطق الحسن والكلام البيّن، وكذلك ما يحويه مِن حسن الاستعارة ، والتمثيل ، والتلويح والإشارة ، والصنعة التي تعمد إلى المعنى الخسيس فتشرّفه وإلى الضئيل فتفخّمه ، وإلى النازل فترفعه ، وإلى الخامل فتنوّه به ، وإلى العاطل فتحليه ، وإلى المشكل فتجلّيه، فإذا كانت صفة الشعر ما ذُكِر آنفاً ، فعندئذٍ لا ضرر إذا تكلّم الطاعن في الوزن أو أنكره[40] .

2. وهذا الجواب أيضاً يقارَع به مَن علّق ذمّ الشعر بقوله تعالى :﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس ، 69] ، وأراد أنْ يجعله حجة في منع الشعر وحفظه و روايته ، إذ مِن المعلوم أنّ النبيّ ﷺ لم يُمنع الشعرَ لاحتوائه على البيان والبلاغة مِن حيث كونُه قولاً فصلاً ، وكلاماً جزلاً ، ومنطقاً حسناً ، وبياناً بيّناً ، وإلا لاقتضى ذلك منعَ النبيّ ﷺ مِن البيان والبلاغة والفصاحة والبراعة ، وجعلَه دونَ الشعراء في حُسن العبارة وشرف اللفظ ! ، وأنّى يكون ذلك ، وقد أجمع العلماء على كون النبيّ ﷺ أفصح العرب ؟!

وإذا بطل توجيه استدلالهم بالآية الكريمة وأنّ تلك المعاني والمزايا هي سببٌ للمنع مِن الشعر ، في الوقت الذي ندعو للشعر لأجل تلك المعاني ونحدو بطلبه على طلبها ، فإنّ الاعتراض بهذه الآية على هذا النحو ضربٌ مِن الجهل والخطل [41].

وبعد إبطال الشيخ عبد القاهر لتوجيه الآية الكريمة على النحو الذي زعمه الطاعنون ، تابع الحديث عن زعم آخر مفترَض ، أيْ : إن استمرّ ذلك الطاعن في جداله مدّعياً أنّ الله ﷻ كره لنبيّه الشعرَ ونزّهه عنه في نفيه تعليمَه إياه في الآية المتقدمة ، وأنّ هذه الكراهة وإنْ لم يكن سببها كونه بليغاً بيّناً ، وفصيحاً حسناً ونحو ذلك مِن المزايا

[39] – أبو بكر البيهقي ت458هـ ، ط3 ، السنن الكبرى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، باب : شهادة الشعراء ، رقمه : 2113 ، 405/10 .
[40] - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ص20 .
[41] - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص21 .

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الحسنة ، فإنّها (الكراهة) تتوجّه إلى أمر آخر ، وهو : أنه لا بدّ لك . وأنت تطلب مرادك من تلك المعاني من الشعر . من التلبس بأمرٍ إليه مردُّ الكراهة ، " و ذاك أنه لا سبيل لك إلى أن تميّز كونه كلاماً عن كونه شعراً ، حتى إذا رويته التبست به مِن حيث هو كلام ولم تلتبس به مِن حيث هو شعر . هذا محال ، وإذا كان لا بدّ لك مِن ملابسة موضع الكراهة فقد لزم العيب برواية الشعر وإعمال اللسان فيه[42]" انتهى كلام الشيخ .

ولقد قلّبت كلام الشيخ السابق المنقول وأرجعت البصر فيه كرّات عدة ، فلم أتوصل فيه إلى معنى واضحٍ ، أو مرادٍ بيّن ، إذ إنّ حذفاً ما أو خطأ ما ـ في التحقيق ـ وقع فيما تقدّم مِن نصّ كلامه ، فلم يُفهم لديّ مراده إلا عند قوله : " وإذا كان لا بدّ لك مِن ملابسة ...الخ " فعُلم أنّ القصد يدور حول عدم النجاة مِن الوقوع فيما قبح أو فحشِ من الشعر ، فمَن حام حول حمى الشعر لا بد أنْ يرتع في مكروهه مهما جنّب نفسه ذلك ، وهذا المعنى يظهر في ردّ الشيخ على هذا المزعم عندما يدحض زعم الزاعم بقوله (الزاعم) : بأنك لا تستطيع أنْ تطلب مِن الشعر ما لا يكره حتى تلتبس بما يُكره ، فيردّ عليه : بأنني ما دمتُ أنني لم أقصد الشعر طلباً لذلك المكروه ، وإنما قصدته لأعرف به مكانة البلاغة ، وأجعله مثالاً للبراعة ، أو أحتجّ به في تفسير كتاب وسنة ، وأنظر إلى نظمه ونظم القرآن ، فأرى موضع الإعجاز وأقف على الجهة التي منها كان ، وأتبيّن الفصل والفرقان ، فإنه قمنٌ أنْ لا يُعتدّ هذا التلبس بالمكروه عليّ ذنباً ، وأنْ لا أؤاخذَ به ، فالمؤاخذة لا تكون إلا عند تعمّد طلب المكروه والقصد إليه ، يقاس هذا على تتبّع العلماء الشعوذةَ والسحرَ وتوقفهم على حيل المموهين والسحرة ليفرقوا بين الحيلة والمعجزة ، فلا يُعدّ هذا عيباً أو محظوراً في حقهم إذا لم يقصدوا تعلّم هذا لذاته ، وإنما لإزالة اللبس بين الحيلة والمعجزة [43] ، فهذا الردّ أوضح لي المعنى المراد من افتراضه السابق .

وقبل هذا الردّ ردٌّ آخر وهو : أنه لو كان مجرد وزن الكلام يحطّ مِن قدره ويزري به ، ويجلب على المفرغ له (الشاعر) في ذلك القالب إثماً ويكسبه ذماً ، لكان أولى بهذا الذمّ والعيبِ مَن يطلب الشعر نظماً أو رواية لأجل الوزن فقط دون اعتبار لأيّ معنى سامٍ مِن فصاحة الكلمة أو بلاغة التركيب أو رقيّ المعنى أو نحو ذلك مما يُقصَد الشعر له .

ولم يتبيّن لي مناسبة هذا الردّ ولماذا أورده ؟ فلم يكن قبله افتراضٌ أو ذِكرٌ لزعم يستوجبه هذا الردّ (فالله أعلم بمراد الشيخ)

[42] - المصدر نفسه ، ص21 .
[43] - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، 22 .

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ثم يسوق الشيخ الجرجاني الدليل على كلامه بأنّ الشعر لا يحتمل حتى الكراهة التنزيهيّة التي زعموها ، بعد أنْ نفدت حُججهم التي تقضي بأنْ تكون رواية الشعر ونظمه حراماً ، بأنّ ما صحّ مِن الأخبار وما ورد مِن الآثار كلّه يبيّن أنّ نفيَ تعليم الشعر للنبيّ ﷺ ومنعَه منه ، وأنْ ينطلق بالموزون لسانُه لم يكن كما توهّموا ، إذ لو كان منعَ تنزيهٍ وكراهةٍ لاقتضى ذلك أنْ يكرهﷺ سماعه أيضاً وأنْ ينزه سمعه عن ذلك ، ولو كان ذلك كذلك لما أمر به وحثّ عليه ، إذن فإنّ تعليل ذلك المنع هو تقوية الحجة وتعظيمها ، "لتكون أبهر وأقهر ولتكون الدلالة أقوى وأظهر وأيضاً لتكون أكعمَ[44] للجاحد وأقمع للمعاند وأردّ لطالب الشبهة وأمنع في ارتفاع الريبة"[45]، وذلك أنّ سبيل المنع هنا هو الخطّ ، أي : حكمة الله ﷻ من جعل النبي ﷺ لا يقرأ ولا يكتب ، وهي الأميّة التي أرادها الله ﷻ له .

ـ القسم الثالث : وهو تعليق الذمّ و ربطه بأحوال الشعراء ، مستدلين بأنهم قد ذمّوا في كتاب الله ﷻ .

بيّن الشيخ بعدّة نقاط دفعَ هذا القول والتقليل مِن شأنه و وضّح أنه ليس مِن العقل جعلُ هذا حجّة على ذم الشعر والمنع مِن حفظه و روايته والعلمِ بما فيه مِن بلاغة وأدب وحكمة :

1. لأن هذا يعني أن يعاب على العلماء استشهادُهم بأشعار أهل الجاهلية في تفسير القرآن ومعرفة غريبه وإيضاح ما بهُم من الحديث .

2. إضافة إلى أنّ ربطهم هذا يدفع ويلغي سائر ما حال النبيّ ﷺ مع الشعر وأهله من سماع له واستحسانه وتأييد أهله ونحو ذلك .

3. لو ساغ ذمّ القول نظراً لقائله لكان الأولى أنْ يخص ذلك ولا يُعمّ ، لأن التخصيص والاستثناء أعقب عموم الذمّ في القرآن بقوله ﷻ :"إِلّا الذيْنَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَذكَرُوا اللهَ كَثِيراً" [الشعراء ، 227] ، ويلاحظ هنا ذكر بعض الآية مقتصرة على فعل الإيمان وعمل الصالحات وذكر الله ﷻ ، وكان الأولى أنْ يُذكر الانتصار بعد الظلم الوارد بعد ذكر الله تعالى ، حيث إنه أهمّ ما قصد الاستثناء لأجله ، وإنْ أُخّر في الآية ، فالإيمان وعمل الصالحات وذكر الله مِن الأوصاف الثابتة لشعراء الصحابة الذين نزلتْ فيهم آية الاستثناء هذه ، أمّا الانتصار بعد الظلم فهو الرابط الأساس بينهم وبين قول الشعر ، فقد كان الانتصارُ للنبيّ ﷺ والدفاع عن رسالته وامتداحه وبيان شمائله ردّاً على هَجَّائي كفار قريش وغيرهم مِمّن نالوا مِن دعوة النبي ﷺ ومِن شخصه الدافعَ الأبرز لسماع النبيّ ﷺ لهم واستحسانه لأشعارهم وتأييد أقوالهم .

---

44 - أكعم : من كعم البعير إذا شد فاه بالكعام عند هياجه لمنعه من العضّ أو الأكل .

45 - المصدر نفسه ، ص 22 .

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

هذا عموم ما أورده شيخُ العربية في سَوق المطاعن و دفعِها ، وبيانِ الأفضلية العليا للمنظوم مِن القول .

## النتائج والتوصيات :

1ـ اتحاد أكثر الأدلّة بين الشيخَين لم يمنع تفرّد كلٍّ منهما بمنهج .

2ـ تناول الجرجانيّ للموضوع أكثر دقّة مِن جهتين ، الأولى : تنظيم الرأي ودليله ، الثانية : خلوّ الأدلة الواردة مِمّا لا يستقيم كدليل قاطع للردّ على الرأي المخالف .

3ـ لا بدّ أنْ تتضاعف الدراسات التي توضح مكانة وأثره في اللغة العربية ، بمنهجٍ جديدٍ ، يعتمد إزالة الشكوك التي لا تزال عالقةً في أذهان الكثيرِ ، وذلك ببيان منزلته في اللغة كصنعة لغوية ، لا كعقيدةٍ وأخلاقٍ بشقّيهما الحسنِ وعكسِه .

## المصادر :

ابن حبان ، أبو حاتم الدارمي ، محمد بن حبان التميمي ت354هـ ، ط2 ، صحيح بن حبان ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .

البخاري ت256هـ ، ط1 ، تخريج الأحاديث المرفوعة المسندة في كتاب التاريخ الكبير للبخاري ، إعداد : د. محمد بن عبد الكريم بن عبيد ، الرياض ، مكتبة الرشد .

البخاري ، محمد ابن إسماعيل ت256هـ ، ط1 ، صحيح البخاري ، بيروت ، دار طوق النجاة

ابن رشيق القيرواني الأزدي ، أبو علي ، الحسن ت456هـ ، ط5 ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، بيروت ، دار الجيل .

ابن عبد ربه الأندلسي ، أحمد بن محمد ت328هـ ، ط1 ، العقد الفريد ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

البيهقي ، أبو بكر ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني ت458هـ ، ط1 ، السنن الصغير ، كراتشي

الجاحظ ، عمرو بن بحر ت255هـ ، البيان والتبيين ، بيروت ، دار صعب ، 575/3 .

عبد القاهر الجرجاني ت471هـ ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، بيروت ، دار المعرفة .

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثالث عشر
تاريخ الإصدار: 2 – 11 – 2019
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

# "According to the books: Alomda and Dalael Alejaz"

**Author Name**

**Dr . Muhamed Mustafa Samaiel**

GENERAL AUTHORITY OF ISLAMIC AFFAIRS & ENDOWMENTS – ABUDHABI - U-A-E

E-mahd198171@gmail.com

**Summary:**

This research explains the place of poetry in the Arabic language, and there are scientists from the Arabic language scholars have taken care of this, and there are two scientists ( ibn rashik alkhairawany 456 H) , and (abdulkaher aljarjany471 H), did this task and defended the poetry, and mentioned strong evidence, and defended the poetry and mentioned its value in the introduction of books, This research .talks about the virtue of poetry based on their books

I mentioned their opinions in this regard and I mentioned the difference between those opinions, and I mentioned some evidence that seems to me weak..

The main objective of this study is to arrange and coordinate the evidence they have mentioned

**Keywords:** The value of poetry, the status of poets, establish the argument on people who underestimate the poetry, the opinion of the son of Agile about poetry, the opinion of Abdul Qahir Jirjani about poetry, the value of poetry